فن المناظرة في التراث العربي

أ/ بــن قلّــح أسمــاء
جامعــة –بسكــرة–

Résumé

Cette étude aborde, selon une approche pragmatique, une question patrimoniale importante à savoir l'art de la polémique, en prenant pour exemple Imtaa et Mouanassa de Abu Heine Taouhidi.

L'art de la recherche et de la polémique est une discipline qui a beaucoup retenu l'attention des chercheurs musulmans. Ces derniers ont étudié cet art de manière approfondie et exhaustive, ils l'ont pratiqué théoriquement et pratiquement et ce afin de développer leurs talents, d'élargir leurs capacités intellectuelles et de convaincre autrui par leur opinions ainsi que par leurs efforts intellectuels.

C'est dans le sillage de la révolution scientifique moderne qu'a apparu la valeur des séances de polémique des arabes, ainsi que leurs contributions théoriques dans divers sciences et arts.

Après la linguistique structurale dont l'intérêt s'est focalisé sur la dimension structurale et générative de la langue, la pragmatique s'est intéressée à l'usage concret de la langue. De fait, la pragmatique est une science qui

dépasse la description formelle de la langue en étudiant sa réalisation concrète dans le cadre d'un ensemble de règles communicatives et conversationnelles. Elle prend en compte tout ce qui entoure l'acte communicatif en vue d'aboutir à un sens : le destinateur qui produit un message dans un contexte communicatif particulier, le destinataire qui cherche la visée du message.

تقـــديـــم:

إنّ فنّ البحث والمناظرة وما يقتضيه من آداب خاصة، يعدّ من الفنون العلمية التي عنى بها علماء الإسلام قديما وحديثا، ودرسوها بعمق واستوعبوها من خلال التنظير لها والعمل بها، وذلك لتوسيع مداركهم العقلية والإقناع بآرائهم وأفكارهم المتعددة، فلا يكاد يخلو عصر من العصور الإسلامية، من وجود محاورات ومناظرات في مختلف العلوم، من: شعر، وعلم كلام، وأصول، ونحو، وغير ذلك. فلئن كان العلماء العرب ذَوُو فكر متبصر ناقد حكيم بحثوا في مختلف العلوم، والآداب، وتقصوا الحقائق بدقة وعلمية، ويتناظرون في مختلف العلوم، بأسلوب علمي دقيق، وبحث رصين، وفق آداب وقوانين أقرّتها مشروعية المناظرة في تاريخ الفكر الإسلامي.

1- مفهوم المنـــاظـــرة:

المناظرة مصدر الفعل الرباعي (ناظر)، المزيد بحرف لإفادة المشاركة. وهي أن تناظر أخالك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه.[1] ومنه النظر، وهو الفكر في الشيء.[2]

والتناظر: التراوض في الأمر، والنظير والمناظر: المثلُ.

وناظره: صار نظيرا له. ومنه قول الزهري: لا تناظر بكتاب اللّه، ولا بكلام رسوله (ص)، أي لا تجعل شيئا نظيرا لهما.[3]

ويقال تناظر القوم: نظر بعضهم إلى بعض وفي الأمر تجادلوا وتراوضوا.

والمُنَاظر: المجادل المحاجّ. [4]

إذن المناظرة تتجلّى فيما يلي:

1-الفكر،.2- التراوض،.3- الجدال.

وتعددت تعريفات العلماء للمناظـــرة وتباينت حدودهم، فترى ابن خلـــدون (ت808هـــ/1406م) يسوقها ردفا للجدال، لما لها من آداب يجب الالتزام بها للوصول إلى الحقيقة والبيان؛ يقول: « وأما الجدال وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم»[5].

ومن دواعي وضع شروط المناظرة عنده، أن كلَّ واحد من المتناظرين يرسل عنانه في الاحتجاج، ويكون على صواب أو على خطأ، فاحتيج إلى وضع آداب وأحكام يقف عند حدودها المتناظران، متمثلة فيما يأتي:[6]

1- حال المستدلّ والمجيب، وكيف يكون الأوّل مُستدلا، والثاني معترضا مبيّنا محلّ اعتراضه أو معارضته.

أ- متى يجب على المستدل السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال.

وينتهي ابن خلدون إلى تعريف عام للجدل والمناظرة قوامه: «إنّه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب، في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره».[7]

كما يعرّفها محمد الأمين الشنقيطي بأنها محاورة بين شخصين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، من أجل الوصول إلى الحقيقة والصواب.[8]

أمّا طه عبد الرحمن فيرى أن المناظرة هي النظر من جانبين في مسألة معينة قصد إظهار الصواب، ويعرّف المناظر بعدة مصطلحات فهو العارض أو المعترض، ويجب أن يكون لعرضه أو اعتراضه أثر هادف ومشروع في اعتقادات من يناظره، سعيا وراء الإقناع والاقتناع برأي صائب.[9] فالمناظر مريد للحقيقة، مقيم لحد الصواب سواء أكان على يد المناظر أم على يد من يناظره.

ويعمد إلى اقتراح ثلاثة مفاهيم للمناظرة وهي: الحوار، والمحاورة، والتحاور، انطلاقا ممّا يسميه بمراتب الحوارية.

ويمكن توضيح ذلك في الجدول الآتي:[10]

مكونات البنية الحوارية / مراتب الحوارية	المنهج الاستدلالي	الآلية الخطابية	البنية المعرفية	النموذج النظري	الشاهد النصيّ
الحوار	البرهان	العرض	النظر	نموذج البلاغ نموذج الصدق	الحوار الحقيقي(العلمي) الحوار الشبيهي(الفلسفي)

المحاورة	الحجاج	الاعتراض	المناظرة	نموذج الإبلاغ نموذج القصد	المحاورة القريبة(المناظرة) المحاورة البعيدة(التناص)
التحـــاور	التحـــاج	التعـــارض	التناظـــر	نموذج التبليغ نموذج التفاعل	التناظر الرأسي التناظر الافقي

ويتّجه حسان الباهي وجهة مميزة في تأسيسه لمفهوم المناظرة، فهو يرى أن التراث الإسلامي العربي يزخر بالدراسات التي انشغلت بمسألة النظر والتناظر، ويورد مسميات عدّة لعلم المناظرة وهي: علم آداب البحث، وعلم آداب الحوار، وعلم صناعة التوجيه، والحجاج

وعلم الجدل أو الجدال. وغيرها من المصطلحات التي أدى بعضها إلى الاختلاف وتباين وجهات النظر.

ويذكر حسان الباهي ثلاث فرق تفسّر تلك الاختلافات الدقيقة في مفهوم الجدل والمناظرة؛ فأمّا الفرقة الأولى فتناصر الجدل، وترى أنه بالرغم من كونـــه يقوم على التنازع الرامي إلى الغلبـــة والإفحام، فقد اقترن بمعان تقتضي الإنكـــار والمنع، إلاّ أنّ المناظـــرة تقتضي التعاون للوصول إلى الصواب في الموضوع المختلف فيه. بينما الغرض من الجدل[11] هو إفحام الخصم وتخطيئه، فهو يستعين بطرق غير مشروعة تقوم على الحيلة والمراوغة، بخلاف المناظرة التي تبتعد كل البعد عن النزاعات والخصومات.[12]

أما الفرقة الثانية فهي تورد المجادلة إلى جانب مفهوم المناظرة، والمحاورة والمعارضة والمناقضة والتفكير، والتدبر، والاعتبار، والتأمل، والاستدلال.

وبين هذين الموقفين برز موقف ثالث يصرّ على أنّ ما ذهبت إليه الفرقتان السابقتان ما هو إلاّ اختلافات اصطلاحية بين هذه المفاهيم، ويستدلون على موقفهم على أنَّ المحاججة قد تبدأ بشكل صحيح وسليم، وذلك باحترام كل الشروط والضوابط الموضوعـــة، إلاَّ أنّها في مرحلة ما قد تنزلق إلى استخدام الجدل، وأنواع من التسلط اللغوي، أو المادي وغيرها من الطرق غير المشروعة، فتنقلب المناظرة مجادلة فمنازعة.[13]

ويذهب حسان الباهي أبعد من ذلك، حيث يضع سلما ترتيبيا لهذه المفاهيم، فتعتلي المناظرة أعلى السلم يليها الحجاج، فالجدل ثم السفسطة التي تتذيل الترتيب.[14]

إنّ لحسان الباهي نظرة تأصيلية لهذا الفن، فيجده متجذرًا في التراث العربي الإسلامي، تحت مسميات عدّة أهمها: الجدل بنوعيه المحمود والمذموم.

نخلص من خلال هذه التعريفات إلى أن المناظرة فن قولي أدبي، يقوم بين شخصين يمتلكان قدرة عقلية إقناعية كبيرة، وأسلوب بلاغي مميز، وذلك من أجـــل إقنـــاع الخصـــم وتصويب رأيه، والرقي بمجلس المناظرة حتى يلقى استحسانا لدى الجمهور.

3-تطـــوّر فـــنّ المناظرة:

عرف فن المناظرة عبر العصور الأدبية تطورا ورقيا، استنادا إلى مدى استجابة الواقع الفكري والثقافي لهذا الفن، الذي ما لبث أن استقلّ

بنفسه، معتمـــدا قوانين وضوابط تحكمـــه وتسيره حتى يستقيم على أكمل وجـــه، وسيحاول هذا المبحث تتبع مراحل تطوره واكتمـــال نضجه.

3-1-إرهاصات المنـــاظرة في العصـــر الجـــاهلي:

عرف العصر الجاهلي العديد من ألوان المساجلات الفنية، والمحاورات الأدبية، تدور معظمها بين الحبيب وحبيبته، فيصف الاثنان شدّة الاشتياق، ولوعة الهوى، مبثوثة في ثنايا القصائد،[15] منها هذه المحاورة لامرئ القيس(ت565هـــ) في معلقته الشهيرة، حينما يتحدث عن مغامراته الطائشة مع ابنة عمه «عنيزة».

يقول الشاعر:[16]

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةِ فَقَالتْ: لَكَ الوَيْلاَتُ!!إنَّكَ مُرْجِلِي
تَقُولُ وقَدْ مَالَ الغَبِيطُ بِنَا مَعًا عَقَرْتَ بَعِيري يَا امْرأَ القَيْسِ فَانْزِلِ
فَقُلْتُ لَهَا: سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ وَلاَ تَحْرِمِينِي مِنْ جَنَاكِ المُعَلَّلِ

إنّ الشاعر هنا يحاور ابنة عمّه عنيزة، متجاوزا نطاق الآداب العامة، مازجاً للأخلاق الطيّبة بالتصرفات الفدمة ، فعندما دخل عليها هودجها فجأة دعت عليه لأنها ستصبح راجلة لعقرة بعيرها، وبعد أن ركب معها طلب منها أن ترخي زمام الناقة حتى لا يحرم من حديثها العذب[17].

وفي حوار آخر ذهب الشاعر-امرؤ القيس- إلى محبوبته متخفيا يمشي على مهل، كحباب الماء في يسر وخفة، حتى لا يشعر به أحد من أهلها، الذين غلبهم النوم فقال:[18]

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَّ حَبَابَ المَاءِ حَالاً عَلَى حَالِ
فَقَالَتْ: سَبَاكَ اللهُ، إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي
فَقُلْتُ: يَمِيْنُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

حَلَفْتُ بِاللهِ حَلْفَةُ فَاجِرٍ فَنَامُوا فَمَا إِنْ مَنْ حَيْثُ وَلاَ وِصَالِ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الحَدِيثَ أَسْمَحَتْ هَصَرَتْ بِغُصْنٍ ذِيْ شَمَارِيْخَ مَيَّالِ
وَصِرنَا إِلَى الحسن وَرقّ كَلاَمُنَا وَرَضَتْ فَذَلَّت صَعْبَةٌ أَيَّ إِذْلاَلِ
فَصبَحْتُ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْه القَتَامُ سِيءَ الظَّنِ وَالبَالِ.

لقد أجبر الشاعر ابنة عمه عُنيزة على التحاور، فأخبرته بقلب يعتوره الخوف بأنها تخشى الفضيحة والعار، حيث إن العيون ما تزال ساهرة يقظة، إلاَّ أن الشاعر أبى ورفض الخروج بل أقسم بأغلظ الإيمان ألاَّ يبرح مكانه حتى ولو قطعوا رأسه، وقد سرد بأسلوب قصصي حواري.

3-2- تشكّل المناظرة في العصر الأموي:

عرف العصر الأموي فنا شعريا جديدا، تمخض عن الحياة السياسية، والاجتماعية التي سادت العصر آنذاك، وهو فن النقائض، الذي عرف انتشارا واسعا وتطورا ملحوظا ونبغ فيه الكثير من الشعراء، كجرير والفرزدق والأخطل.

ولقد عرف أسلوب المناقضة تطورا حتى جعل فن النقائض في العصر الأموي فنا قويا بدرجة كبيرة، فهو يجبر الشاعر الثاني أن ينقض كلام خصمه بالاعتماد على نفس الوزن والقافية ثم ينقض معاني القصيدة واحدا تلوى الآخر.[19]

قال أبو عبيدة كان مُخَرّق بن شُرَيك ضَلْعُه مع جرير فنهاه الفرزدق مرتين فلم ينته

فقال الفرزدق في ذلك: (بحر الكامل)[20]

وَلَقَدْ نَهَيتُ مُخَرّقًا فَتَخَرَقتْ بِمُخَرِّقٍ شُطُنُ الدِلاَءِ شغــورُ
وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ مَرَّتَيْنِ وَلَمْ أَكُنْ أَثْنِي إِذَا حَمِقٌ ثَنَى مَغْرُورُ

حَتَّى يُدَاوِيَ أَهْلَهُ مَأمُومَةً في الرَّأْسِ تُدْبِرُ مَرَةً وتَثُورُ

فأجابه جرير فقال: (بحر الكامل)[21]

سَبَّ الفَرَزدق مِنْ حنِيفةَ إنَّ السَّوَابِقُ عِنْدَها التَّبشِيرُ
وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ أنْ تَسُبَّ مُخَرِّقًا وَفِرَاشُ أُمِّكَ كِلْتَتَان وكِيرُ
يَا لَيْتَ جَارَكُمْ اسْتَجَارَ مُخَرِّقًا يَوْمَ الخُرَيْبَةِ وَالعَجَاجُ يَثُورُ

لقد استطاع جرير والفرزدق أن يبتكرا فنا جديدا أقرب ما يكون إلى مناظرة بين الشاعرين؛ فالفرزدق يدافـــع عن قبيلـــة تميم؛ وجرير يدافع عن قبيلة ذهل وهما خصمـــان لقبيلة الفرزدق وهكذا تستمر المناظرة بين الشاعرين لمدة أربعين سنة. [22]

3-3-نضج فن المناظرة في العصر العباسي:

بلغت الحركة العلمية في العصر العباسي أوجّها، نظرا للحرية الفكرية آنذاك، وظهور العديد من الفرق والنحل الكلامية، والمدارس النحوية، فاحتدم الصراع الفكري، وانتشرت المجالس العلمية والحلقات الأدبية، وعرفت هذه المجالس انتعاش حلقات الجدل التي أصبحت ضرورة مميزة لهذا العصر عن غيره، وذلك أن العصر يتسم بخصوصية لم يعرفها أي عصر قبله، وهي العقلانية في التفكير، وانتشار المنطق، والفكر الفلسفي العميق.

إنّ لظهور فن المناظرة في هذا العصر ملابسات وظروفا لازمت نشأته، أهمها:

- اتساع جذوة المناظرة بين طوائف المعتزلة، وطوائف المتكلمين وبين المسلمين وأصحاب الملل والنحل الأخرى.

- ظهور العديد من المناظرين في مجالات عدّة، خاصة مجالي العقل والدين.
- الوظيفة التي نصّب المعتزلة أنفسهم لها، وهي التصدّي لأصحاب الملل والنحل والملاحدة.[23]
- التشجيع المستمر للخلفاء العبّاسيين لهذا الفن، وإغداقهم الهبات والأموال على العلماء[24].

هذه مجموعة من الأسباب التي هيأت لبروز فن المناظرة في هذا العصر، حيث كانت تشغل الناس على اختلاف طبقاتهم، لسبب بسيط وهو أنها كثيرًا ما كانت تنعقد في المساجد[25]، كما أنها تنعقد أيضا في الدور والقصور بين العلماء في حضرة الخلفاء، في مسائل مختلفة سواء في الفقه أم اللغة أم المسائل الدينية.

ولقد كان للخلفاء العباسيين حضور لافت، بل أساس في مجالس المناظرة إذ كثيرا ما كان يرأس الخليفة المجلس، يبدي رأيه مؤيدا حينا ومعترضا حينا آخر.

وسنورد نماذج لخلفاء عباسيين، اهتموا اهتماما بالغا بالمناظرات، خاصة الفكرية منها والديني فهذا أبو جعفر المنصور يقول للإمام مالك وقد مرّ بدار الهجرة حاجًّا، إنّ النـــاس يتخبّطون في أحكام شريعتهم ويجادلون في أحاديث الرسول (ص)، راجيا منه أنْ يتخيّر لهم من الأحاديث ما يكون الثريّا التي يهتدون إليها، فلا يخطئوا في حكم ولا يتجادلون في حق، فألّف مالك بن أنس «الموطأ» مستعينا بإرشادات وتوجيهات الخليفة، وكان المنصور يملك من العلم ما يؤهله لرئاسة الحلقات والفصل فيها.

أمّا المهدي فكانت أيَّامه موزعة توزيعا عادلا على العلوم والفنون، فكان يستقبل العلماء في يوم والأدباء في يوم آخر، ويعرضون عليه آخر ما انتهوا إليه وما حصلوا عليه، فيناقشهم مبديا رأيه عن سعة علم، وفطنة أمر، وعمق تفكير، ودراية واسعة، وإن رأى من أحد تقصيرا أو فتورا يحثُّه على الجدّ في البحث ويطلب منه المزيد. (26)

وقد عقدت بعض المناظرات في عهد هارون الرشيد منها مناظرات فقهية، كالتي حدثت بين الإمام الشافعي ومحمد بن الحسن بحضرة الرشيد، ونجد الرشيد يناظر الشافعي في بعض مسائل علوم القرآن. (27)

ومن المناظرات التي جرت في مجلس الرشيد ما كان بين الأصمعي (ت216هـ) والكِسائي (ت189هـ) فسأل عن قول القائل:

قَتَلوا ابْنَ عَفَّان الخَلِيفَةَ مُحْرِمًا وَدَعَا فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ مَخْذُولاَ

فقال الكسائي: كان قد أحرم بالحجّ، فضحك الأصمعي وتهاتف، فقال الرشيد: ما عندك؟ فقال: والله ما أحرم بالحجّ، ولا أراد أيضا أنه دخل في شهر حرام، كما يقال أشهر وأعام إذا دخل في شهر وفي عام، فقال الكسائي إلاّ هذا وإلاَّ فما معنى الإحرام، قال الأصمعي فَخَبِرْنِي عن قول عدي بن زيد:

قَتَلُوا كِسْرَى بِلَيْلٍ مُحْرِمًا فَتَولَّى لَمْ يُمتَّعْ بِكَفَنِ

أيّ حرام لكسرى؟ فقال الرشيد: فما المعنى؟

فقال يريد أنّ عثمان لم يأت شيئا يوجب تحليل دمه، وكلّ من يحدث مثل ذلك فهو في ذمة، فقال الرشيد: يا أصمعي ما تطاق في الشعر.(28)

أمّا المأمون فقد أولى مجالس العلم في مختلف العلوم عناية فائقة واهتماما بالغًا، ولا سِيَّمَا بالمجالس الكلامية والنحوية، فقد كان واسع الثقافة، يجيد فروعا كثيرة من العلوم وفي كلّها يناظر، فالمأمون رمى من مجالسه إلى غرض بعيد، وهو أن تثار بين يديه مسائل دينية فيدلي كل عالم ومفكّر برأيه مدعّما بالحجّة والبرهان، ثم يفصل في أوجه هذا الخلاف، في ضوء هذه الحجج، حتّى لا يتأجّج الخلاف وتقع الفتنة بين مختلف الفرق.[29] وقد روى الدينوري في كتابه الأخبار الطوال أنّ المأمون كان نجما في العلم والحكمة، يكفي أنـــّه استخرج كتاب إقليدس من الرّوم وأمر بترجمته وتفصيله «وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات».[30]

وقد كان للمناظرات في مجلس المأمون تأثير واسع في الحركة العلمية والأدبية والفكرية، إذ نجده يوفّر كل أسباب الراحة للمتناظرين، فمجلسه يشبه إلى حدٍّ ما الندوة العلمية، تناقش فيها مختلف الأفكار، وتطرح العديد من المسائل فاسحة الحرية للفكر يصول ويجول، يساند فكرة وينقض أخرى بالدليل والحجّة والبرهان، وكان المأمون يقف حكما يفصل بين الآراء ويؤيد أبلغها حجة وبرهانا.

ولقد استمرت المناظرات بعد المأمون إذ نجدها في مجلس الواثق الذي كان «محبًا للنظر مكرمًا لأهله، مبغضا للتقليد وأهله، محبًا للإشراف على علوم الناس وآرائهم، ممن تقدّم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم من الشرعيين».[31]

لقد تميّز الواثق بحب الإطلاع والاستكشاف، حيث يأتيه العلماء بعلوم مختلفة من طب وفلسفة وعلم الفلك[32]، فيطلب منهم الواثق المزيد من

المعرفة حتى يرضي شغفه العلمي وفضوله العقلي، لقد كان يستمع للمتناظرين بذهن متفتح ونفس مبتهجة ورغبة علمية ملّحة، ممّا أدّى إلى إذكاء المجالس العلمية بروح الإبداع وانتصار الملكة العقلية والعلم.

كما نجد الواثق يعقد مناظرة بين قاضي البصرة أحمد بن رياح ووجوه من المعتزلة. وبانقضاء عصر الواثق، وانتهاء محنة القول بخلق القرآن، تقلّصت المناظرات حتى ضعفت تماما.(33)

إذن المناظرة كانت دافعا للازدهار الفكري، والرقي العقلي لما لها من تأثير في النشاط الأدبي والفكري؛ فأما الأوّل فلما أدخلته من أساليب جديدة؛ فالمناظر ينتقي أجود الأساليب ويصطفي العبارات التي لها وقع وتأثير على السامع، فيهّب ينتقي الألفاظ المنمقة حتى يجد صدى عند الناس ليفحم خصمه.

أمّا التأثير الفكري فيتمثل في حث كل عالِم على الاجتهاد، والتنقيب عن الحقيقة، والإيتاء بالبراهين، حتى تظهر الحقيقة ويحكم له بالصواب، ويظهر بمظهر المتمكّن العارف لا العاجز الذليل.

3-4- المناظـــرات في البيئة الأندلســـية:

شهدت البيئة الأندلسية رقيا أدبيا، ونموا فكريا نظرا للظروف السياسية والاجتماعية السائدة آنذاك، حيث ما انفكّ الأمراء والخفاء يشجعون العلم، ويبسطون الأسباب للشعراء والأدباء حتى يجودوا بما حملت قرائحهم من إبداعات فكرية وخيالات طيفية، بأسلوب يأسرك بشوق وقوة. وقد عرفت

مجالس العلم والأدب رواجًا كبيرا، وإقبالا واسعا من قبل الناس، لأجل الاستماع والبحث في مسائل العلم واللغة والأدب.

وكان من أهل العلم والأدب، الوزراء والكتّاب، والقضاة والخلفاء، وقد كانت المجالس تضم الصفوة الراقية من أساطين العلم والأدب لعرض أفكارهم فكانوا قدوة جمهور الأدباء.[34]

وقد وجد العرب في الأندلس حضارة ممهدة للرقي الأدبي، نظرا للطبيعة الخلاّبة التي تبعث في النفوس نفحات موسيقية تُؤخذ شعرا وتلفظ لحنا، وبذلك حبب إلى أهلها الأدب وطبعوا على هذه الشيمة[35]، حتى وجد فن قولي أدبي جديد عرف لكتاب الأندلس في القرن الخامس الهجري.

ويرى مصطفى السيوفي أن فن المناظرة عرف نضجا وتطورا بحق عند الأندلسيين، وأنّ المشارقة قد أخذوا منهم تلك الطريقة.[36]

في حين يرى عبد العزيز عتيق أنّ هذا الفن ليس من مستحدثات الأندلسيين بل سبقهم إلى ذلك المشارقة من أمثال الجاحظ في رسائله، وذلك مثل رسالته في مناقب الترك، ورسالته في فخر السودان على البيضان.[37]

الخاتمـــــة:

صفوة القول ومحصول الحديث أنّ فن المناظرة من الفنون الأدبية التراثية المعبّر عن مدى تفوق العرب في أفكارهم، وعلوّ أقدارهم وسمحة أخلاقهم التي سمحت لهم ببسط سبل الحوار الذي يبتعد عن المجادلة والمراء.

هـــوامش ومراجـــــع:

(1) ينظر: الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: داود سلّوم وآخرين، مكتبة لبنان ناشرون، ط1،2004، ص 832.
(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1997م، 211/6.
(3) ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5،1416هـ/1996م، ص623.
(4) ينظر: إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مطابع الأوقست، القاهرة، ط3، 1405هـ، 1985م، 969/2.
(5) ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1428هـ، 2007م، ص466.
(6) ينظر: خالد حربي، بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية «رؤية جديدة في الأسس المعرفية»، تح، علي عبد المعطي، ماهر عبد القادر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2004، ص108.
(7) ابن خلدون، المقدمة، ص466.
(8) محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم بجدة، ص 3.
(9) ينظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2008، ص 46، 47.
(10) ينظر، نفسه، ص57.
(11) يعرّف الجرجاني الجدل بأنّه: القياس المؤلف من المشهورات، والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان. أو هو دفع المرء خصمه في إسناد قوله بحجة أو شبهة.
-الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2000م، ص79 .
(12) ينظر: حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، افريقا الشرق، المغرب، 2004، ص18.
(13) ينظر: نفسه، ص 19.
(14) ينظر: نفسه، ص20.
(15) ينظر: محمد عبيد الحمزاوي، فن الحوار و المناظرة في الأدبين الفارسي والعربي في العصر الحديث دراسة مقارنة، تح: محمد زكي العشماوي، مركز الإسكندرية للكتاب، ط1، 2001م، ص 195.
(16) امرؤ القيس، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1404هـ،1983م، ص34.

(17) ينظر: محمد الحمزاوي، فنّ الحوار والمناظرة في الأدبين الفارسي والعربي، ص 198.
(18) امرؤ القيس، الديوان، ص141.
(19) ينظر: عبد الرحمن عبد الحميد علي، الأدب العربي في العصر الإسلامي والأموي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1426هـ، 2005م، ص42.
(20) أبو عبيدة البصري، ديوان النقائض، نقائض جرير والفرزدق، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1998، 232/2.
(21) نفسه.
(22) ينظر: محمد عبيدة الحمزاوي، فن الحوار والمناظرة، ص 192.
(23) ينظر: مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م، القاهرة، مصر، ط1، 2008م، ص 141.
(24) ينظر: خالد حربي، بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية، ص 115، 116.
(25) ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط17، ص457.
(26) ينظر: إبراهيم علي أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، المصرية العامة للكتاب، ص220،219 .
(27) ينظر: مصطفى البشير قط، مجالس الأدب في قصور الخلفاء العباسيين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009م، ص350.
(28) جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، 114/2.
(29) ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ، 2005م، ص 315، 316.
(30) الدينوري، الأخبار الطوال، تصح: فلاديمير جرجاس، مطبعة بريل، لندن، ط1، 1988، ص 397.
(31) ينظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 4/ 22، 23.
(32) نفسه، مروج الذهب، 90/4.
(33) ينظر: مصطفى البشير قط، مجالس الأدب في قصور الخلفاء العباسيين، ص 351.
(34) ينظر: فورار امحمد بن لخضر، الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية دراسة موضوعية وفنية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص60.
(35)ينظر: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،1424ه، 2003م، 171/1، 178.
(36) ينظر: مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب الأندلسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص124.
(37) ينظر: عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 470.